

## الفصل الرابع عشر

### ثمن سيجارة

كم تظن السيجارة كان ثمنها في سنة ١٩٠٩م؟

لا أدري ممن القارئ.. أمن الأيفاع الذين يزدان بشبابهم الغض هذا القرن العشرون، أم من المخضرمين الذين أدركوا — مثلى — القرن الماضى وهو وجود بأنفاسه، وأبوا إلا أن يركبوا هذا الزمن بشبابهم الدائم الذى يأبى أن يدركه الهرم أو يرده الشيب إلى تكلف الوقار؟ وإن كان — أعنى شبابهم المثلكىء — لا يمتاز لا بغضاضة، ولا ببضاضة. وليكن القارئ من شاء — من المحدثين أو ممن هم أحدث منه وإن كانوا أعلى سنا — فهذه فذلكة تاريخية يستطيع أن ينتفع بها إذا كان له من الذكاء حظ. وهل أحرص منى على فائدة القراء؟

كنت في تلك السنة — سنة ١٩٠٩م — قد تخرجت في مدرسة المعلمين العليا، ومن كان يشك في ذلك فليسأل وزارة المعارف فلن تحابينى. وكنا في مقدمة الصيف، وكنت متعبا مرهقا — لا أدري لماذا؟ فما أعرفنى عنيت بحفظ درس في حياتى — فاستشرت طبيبا أو على الأصح ألح أهلى أن أستشيريه، فقد صارت لحياتى قيمة بعد أن حملت هذه «الدبلوم» وبلغت بها مبالغ الرجال الذين يكسبون رزقهم وينفقون على سواهم. فلما فحصنى الطبيب، قال: «لا شىء.. يكفى أن ترتاح وتتنزه» قلت: «أين؟» وكان ضيق الصدر فقال: «وهل أنا أعرف.. فى أى مكان غير البيت» فلم يحسن وقع جوابه فى نفسى، فقلت له: «وهل كنت تحسب أن بيتى منتزه يا أذى.. أم خيل إليك أنى بنت لا أعرف غير غرف البيت.. سبحان الله العظيم» وأنصرفت ساخطا.

وأوسعته نما فى الطريق إلى بيتى — مزقته ونثرت لحمه وجلده للكلاب.. حتى الشعرات القليلة التى بقيت فى رأسه الأصلع انتزعتهما واحدة واحدة، وسرنى أنه كان